

استقلال وأغلال

الياس بجاني

مسؤول لجنة الاعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

في الذكرى ٥٩ لاستقلال لبنان المهجر والمغيب بنتيجة استمرار الاحتلال الأخوي !!! وحكم الإسخريوطيين، لا نجد وسيلة للتعبير عن مشاعرنا وأحاسيسنا سوى الصلاة لخالق الكون لترسيخ إيماننا بعقيدة ال ١٠٤٥٢ كيلو متراً مربعاً، وتجديد فعل إيماننا بلبنان السيد الحر المستقل الخالي من كل القوى الغربية وإفرازاتها. وأيضاً الصلاة من أجل توبة وهداية من ضلوا الطرق القويم من رجال دين ودينا باعوا الوطن بثلاثين من الفضة بعد أن اقترحوا على كيانه وهويته وقهقهوا على قبره كالجواني من كثرة فرحهم وتلذذهم سماع أنين وعذاب أهلهم. لعل ما بقي عندهم من ضمير يفيق.

يحتفل البعض بالذكرى وكأن هناك أثراً باقياً للاستقلال، وكأن الوطن بألف خير، متعامين عن ممارسات القمع والتتكيل والإفقار التي ترتكب بحق الأحرار من أهلهم. فالقضاء أمسى مُسيئاً بامتياز، والقوى الأمنية المرتهنة للمحتل تسلب اللبنانيين حريتهم التي هي أعز ما يملكون. يرتكب المحتل هذه التعدييات فيما يدعي زوراً أخوتنا ويعمل ضمن إطار مخطط واضح المعالم هدفه إنهاء لبنان الكيان والهوية والتاريخ وتهجير شعبنا وإحلال الغرباء والطارئين مكانه. يا لها من أخوة، أين منها أخوة قايين لهابيل!!! من المؤسف والحال على ما هي عليه أن نجد في بلاد الانتشار مجموعات من اللبنانيين يمارسون حياتهم "بالطول والعرض" بمعزل تام عن معاناة أهلهم، ويتصرفون وكأن لبنان ما زال ينعم بفورة السينات الاقتصادية ويتمتع بالرخاء والازدهار والديموقراطية وجو الحريات. لقد فقد هؤلاء غيرتهم على الوطن الأم بعد أن سلخوا أنفسهم عن واقع الاحتلال المأساوي وارتضوا التقوقع والتخلي عن مسؤولياتهم الوطنية تاركين قوى الاحتلال البغيضة رابضة على صدور وأنفاس أهلهم تمارس دون حسيب أو رقيب الكبت والقهر والإبعاد والإجرام والاعتقالات وانتهاك الحقوق.

الحالمون هؤلاء، بل قل الهاربين، يقيمون كل سنة حفلات الراقص والطرب احتفاءً بذكرى هذا المرحوم المسمى الاستقلال، فيرقصون وينلذذون بأشهى المأكولات اللبنانية، التي على ما يبدو هي كل ما بقي يربطهم بلبنان الأباء والأجداد. لقد قطعوا أوصالهم بالوطن وكفروا حتى بتعاليم السماء وفقدوا الروح اللبنانية وكل ما تكتنفه من إيمان وانتماء وعزة وكبرياء.

نسمع شبابنا في الوطن ينادوننا بأعلى أصواتهم: "ماذا جرى لكم يا أهلنا في بلاد الانتشار، لماذا تركتمونا دون معين وتتصرفون كالنعامة؟ هل هانت عليكم أواصر الدم والقربة، كيف بالله عليكم تنتكرون لوطنكم وتتخلون عنه فيما هو في أمس الحاجة لدعمكم؟ كيف تشربون نخب الاستقلال وتحفلون في ذكراه، فيما نحن نفنقه منذ سنين، رازحين تحت نير الاحتلال، نتحكم بمصائرنا عصابات ومافيات همها الوحيد نحر إرث أجدادنا وأجدادكم وضرب كل ما هو لبناني. نستحلف ضمائركم ووطنيتكم أن تقيموا الصلاة بهذه

الذكرى، واعلموا أن السيادة التي تشربون نخبها منتهكة، والحريات التي تتغنون بها مصادرة، فيما أفواه الأحرار من أهلكم مكمومة، وإرادتهم مزورة من خلال نواب ووزراء ورؤساء ينفذون ولا يقررون. تذكروا دائماً أن السواد الأعظم من الحكام ورجال الدين والدنيا في وطنكم المحتل قد تحولوا إلى فريسيين وجباة ضرائب ومصاصي دماء. لقد دنس هؤلاء هيكل لبنان وحولوه وكرراً للمارقين والأصوليين والمافيات. تذكروا أيضاً أن لدى السلطة التي يهادنها بعضكم ويُبخر لرموزها مفهوماً ثانياً للحرية، هو المفهوم الستاليني الموظف "لسورنة وبعثة وطن الأرز". إنها سلطة تمنع أهلكم من قول الحقيقة، تضرب كل من يطالب بالاستقلال، تضطهد الطلاب الجامعيين، تبور الحقول، تحرق الغابات، تقفل المصانع، تحرم العمال من لقمة عيش كريمة، كما أنها تخاف أن تتعلم مفهوم السيادة والاستقلال والحريات في المدارس.

نسمع شبابنا من الوطن ينادوننا بعنفوان وكبرياء قائلين: فيما أنتم لاهون عن معاناتنا، تحتفلون باستقلال مغيب لم يعد له وجود إلا في مخيلتكم، وفيما أنتم متخلون عن واجباتكم الوطنية وحق لبنان عليكم، نجد نحن فعل إيماننا بالحريات والديموقراطية والمساواة، ونطمئنكم أننا مستمررون دون كلل في مقاومة الاحتلال ورموزه الجاحدين. يا أهلنا ربما فاتكم أن الحرية ماء نشربها، والكرامة هواء نستنشقه، والعنفوان حليب رضعناه من صدور أمهاتنا ونحن أطفال.

نسمع شبابنا يقولون: كونوا إلى جانبنا، احموا معنا مشعل التحرير، شاركوا آلامنا وتحسسوا معاناتنا. تذكروا دائماً أن وطنكم الأم محتل وحكامه لا يمثلون إرادة وتطلعات وأمانى أهلكم. وصيبتنا، بل رجائنا أن نتوحدوا تحت راية التحرير جاعلين النضال الوطني لإزالة الاحتلال أولوية على ما عداه. إياكم أن تتخذوا بالخطاب الكاذب الذي يُسوق له الحكام، فالاحتلال هو علة علل لبنان والسبب الأساسي في الغلاء الحرية وسحق الديموقراطية وضرب مقومات الاستقلال.

يحاول المحتل ودماه محو التيار السيادي وتغيب المعارضة ومصادرة حق التعبير، إلا أن السيادي ليس بحاجة إلى قرار أو إذن من أحد ليقول ما يريد وبصوت عالٍ. سيستمر شعبنا بالشهادة للحقيقة ويجاهر بالحق والله نصيره. لقد دفع اللبناني ثمن حروب الآخرين المشؤومة على أرضه واليوم يدفع ثمن تغيب استقلال وطنه وعدم العيش بحرية.

أنه ومهما كان القمع جباراً فالإيمان أقوى منه بكثير، والغلبة بإذن الله ستكون لأحرار لبنان طال زمن الاحتلال أو قصر. يبقى إن من يحتفل بذكرى الاستقلال المصادرة بغير الصلاة والسعي الدؤوب من أجل التحرير هو كمن يرتدي أفضل ملابسه ويتعطر بأغلى العطور ومن ثم يذهب لحضور زواج امرأته من رجل آخر، ومن له إذنان صاغيتان فليسمع.